

بحار الأنوار

[46] ذللاً، يهلون في حوله، ويرملون (1) على أقدامهم، شعنا غبرا له، قد نبذوا السراويل (2) وراء ظهورهم، وشوهوا باعفاء الشعور محاسن خلقهم، إبتلاء عظيمًا وامتحانًا شديدًا واختبارًا مبينًا وتمحيصًا بليغًا جعله الله تعالى سببًا لرحمته، ووصله إلى جنته، ولو أراد الله سبحانه أن يضع بيته الحرام ومشاعره العظام، بين جنات وأنهار وسهل وقرار، جم الأشجار، داني الثمار ملتف البنى (3) متصل القرى، بين برة سمراء (4) وروضة خضراء، وأرياف محدقة، وعراض مغدقة، وزروع ناضرة وطرق عامرة، لكان قد صغر قدر الجزاء على حسب ضعف البلاء، ولو كان الأساس المحمول عليها، والأحجار المرفوع بها بين زمردة خضراء وياقوته حمراء ونور وضياء لخفف ذلك مصارعة الشك في الصدور، ولوضع مجاهدة إبليس عن القلوب ولنفس معتلج (5) الريب من الناس ولكن الله يختبر عباده بأنواع الشدائد، ويتعبد بهم بألوان المجاهد، ويبتليهم بضروب المكار، إخراجًا للتكبر من قلوبهم، وإسكانًا للتذلل في نفوسهم، وليجعل ذلك أبوابًا فتحة (6) إلى فضله، وأسبابًا ذلًا لعفوه (7). أقول: قد مر بتمامه مشروحا في كتاب النبوة، 36 - دعائم الإسلام: رويناه، عن أبي جعفر محمد بن علي عليهما السلام أنه قال في قول الله: " وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل (1) _____ (1) الرمل: بالتحريك ضرب من السير فوق المشى ودون الجرى وهو الهرولة. (2) السراويل: الثياب واحدها سربال بكسر السين المهملة فسكون الراء. (3) ملتف البنى: كثير العمران. (4) البرة: الحنطة والسمراء أجودها. (5) الاعتلاج الالتطام ومنه اعتلجت الأمواج إذا التطمط، والمراد زال تلاطم الريب والشك من صدور الناس. (6) فتحة وذلا بضميتين، والاولى بمعنى مفتوحة واسعة، والثانية مذلة ميسرة. (7) نهج البلاغة - محمد عبده ج 2 ص 170 - 173. [*]